تفسير أبي السعود

المسمى

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لخاتمة المحققين وامام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفى سنة ٩٥١

الجزء الأول

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ حسن محمد المسعودي
المدرس بالقسم العالي بالأزهر

الـــتزام
محمد محمد عبد اللطيف
صاحب المكتبة الحسينية المصرية
بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى
سنة ١٣٤٧ هجرية — سنة ١٩٢٨ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل ماجل ودق أنزل عليه أظهر بينات وأبهر حجج قرآنا عربيا غير ذى عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب ناطقاً بكل أمر رشيد هاديا الى صراط العزيز الحميد آمراً بعبادة الصمد المعبود كتاباً متشابهامثانى تقشعر منه الجلود تكاد الرواسى لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان يسير به الجبال ويسر به كل صعب محال معجزا أفحم كل مصقع من مهرة قحطان وبكت كل مفاق من سحرة البيان بحيث لواجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته نزله عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى أقوم السبل فهداهم الى الحق وهم فى ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه وأما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام فى موامى الردى وتردى فى مهاوى الزور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الاخيار وصحبه الابرار ماتناوبت الانواء وتعاقبت الظلم والأضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان

وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادى أبو السعود بن محمد العمادى ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وماكان حرف منها مسطورا والحكمة الكبرى فى تخمير طينة آدم ولم يكن شيئاً مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولاسبيل الى ذاك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر آيات قدرته فى صحائف الاكوان ونصب رايات وحدته فى صفائح الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع وكل حرف رقم فى لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لاريب فيه ومنهاجاً سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأوضح عباره ويلوح أخرى بألطف اشاره لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتيك الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السريه والتفطن لمعانى تلك العبارات العبقريه ومافى تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لايطيق به عقول البشر الابتوفيق خلاق القوى والقدر فاذن مدار المراد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينيه والمفسر لمشكلات الآيات التكوينيه والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الانس وبه تكتسب الملكات الفاخره وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخره خلا انه أيضاً من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال فى غاية الغايات القاصيه ونهاية النهايات النائيه أعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لايتسنى العروج الى معارجه الرفيعه ولا يتأتى الرقى الى مدارجه المنيعه كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعمليه ومنطويا على دقائق الفنون الخفية والجليه حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعيه ومحيطا بمناط

الدلائل الاصلية والفرعيه منبئاً عن أسرار الحقائق والنعوت مخبراً بأطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر والنواهى واليه يستند معرفة الاشياء كلها قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقائقه الابية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول يرد عيون العقول سبحانه ويخطف أبصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير فى كل عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التقرير والتحرير فى كل قطر من الاقطار فغاصوا فى لجه وخاضوا فى ثبجه فنظموا فرائده فى سلك التحرير وأبرزوا فوائده فى معرض التقرير وصنفوا كتباً جليلة الاقدار وألفوا زبراً جميلة الآثار أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعانى وتشييد المبانى وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقه وابداء خباياه الفائقه ليعاين الناس دلائل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانيه والزبر العظيمة السبحانيه فدونوا أسفاراً بارعه جامعة لفنون المحاسن الرائعه يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان لاسيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد أحرز قصب السبق أى احراز كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان فى سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام أوان اشتغالى بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابى لمفاوضتهما ومدارستهما يدور فى خلدى على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما فى سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف اليها ما ألفيته فى تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته فى أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانيه وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانيه من عوارف معارف يمتد اليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو اليها أحداق الامم من كل نحرير أريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام فى مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام فى معارك أفكار يشتبه فيها الشؤن ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون فى خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز وأهديها الى الخزانة العامره الغامرة للبحار الزاخره لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها فى الطول والعرض ألا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم أنوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسره فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذى شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو دنا بجحافل عرمرم متزاحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فأصبح مابين أفق الطلوع والغروب ومابين نقطتى الشمال والجنوب منتظما فى سلك ولاياته الواسعه ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعه فأصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فياله من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه أو نصبت عليه

الويته وأعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر الاكاسرة سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانيه والخليفة المعتز بالعزة السبحانيه المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجميلين المفخمين ناشر القوانين السلطانيه عاشر الخوافق العثمانيه السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازى المشهورة فى أقطار الامصار والفتوحات المذكورة فى صحائف الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وأرواح أسلافه العظام متنزهة فى روضة الرضوان وكنت أتردد فى ذلك بين اقدام واحجام لقصور شأنى وعزة المرام أين الحضيض من الذرى شتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة فى قضاء البلاد وأخرى فى قضاء العساكر والاجناد فحال بينى وبين ما كنت اخال تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وجموم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغازى والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت فى تضاعيف هاتيك الامور أقدر فى نفسى أن أنتهز نهزة من الدهور ويتسنى لى القرار وتطمئن بى الدار وأظفر حينئذ بوقت خال أتبتل فيه الى جناب ذى العظمة والجلال وأوجه اليه وجهتى وأسلم له سرى وعلانيتى وأنظر الى كل شئ بعين الشهود وأتعرف سر الحق فى كل موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا لما هو آت وأتصدى لتحصيل ما عزمت عليه وأتولى لتكميل ما توجهت اليه برفاهة واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما أنا فى هذا الخيال اذ بدا لى ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت فى أمر أشق من الاول أمرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرنى أى غمر غوارب ماجرى بين زيد وعمرو فأضحيت فى ضيق المجال وسعة الاشغال أشهر ممن يضرب بها الامثال فجعلت أتمثل بقول من قال

لقد كنت أشكوك الحوادث برهة وأستمرض الايام وهى صحائح
الى أن تغشتنى وقيت حوادث تحقق أن السالفات منائح

فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات وشمل الاسباب فى شرف الشتات وقد مسنى الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الاجل من الحلول وأشرفت شمس الحياة على الأفول عزمت على انشاء ما كنت أنويه وتوجهت الى املاء ما ظللت أبتغيه ناويا أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه ﴿ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ﴾ فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشاده بين يدى متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت فى أن يعصمنى عن الزيغ والزلل ويقينى مصارع السوء فى القول والعمل ويوفقنى لتحصيل ما أرومه وأرجوه ويهدينى الى تكميله على أحسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد أتمتع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت أيدى الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع أفض علينا شوارق أنوار التوفيق وأطلعنا على دقائق أسرار التحقيق وثبت أقدامنا على مناهج هداك وأنطقنا بما فيه أمرك ورضاك ولا تكلنا الى أنفسنا فى لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان جئناك على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فيضك قارعين أنت الملاذ فى كل أمر مهم وأنت المعاذ فى كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

سورة فاتحة الكتاب سبع آيات

الفاتحة فى الاصل أول مامن شأنه أن يفتح كالكتاب والثوب أطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل ثم أطلقت على أول كل شئ فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجى حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية أو هى مصدر بمعنى الفتح أطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات و بالباقى بواسطته لكن لا على معنى أنه واسطة فى تعلقه بالباقى ثانيا حتى يرد أنه لا يتسنى فى الخاتمة لما أن ختم الشئ عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن أجزائه الاول بل على معنى أن الفتح المتعلق بالاول فتح له أولا و بالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزأ منه وكذا الكلام فى الخاتمة فان بلوغ آخر الشئ يعرض للآخر أولا و بالذات وللكل بواسطته على الوجه الذى تحققته والمراد بالاول لما يعم الاضافى فلا حاجة الى الاعتذار بأن اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصى لا القدر المشترك بينه و بين أجزائه على ماعليه اصطلاح أهل الاصول ولا ضير فى اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم فى أوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما أن التسمية من جهة الله عز اسمه أو من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفى فيها تحصله باعتبار تحققه فى علمه عز وجل أو فى اللوح أو باعتبار أنه أنزل جملة الى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما فى جزء الشئ لا بمعنى من كما فى خاتم فضة لما عرفت أن المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئى له ومدار التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا فى القراءة فى الصلاة ولا فى التعليم ولا فى النزول كما قيل أما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على مايقرأ فى الصلاة حتى تعتبر فى التسمية مبدئيتها له وأما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم أو من حيث النزول يستدعى مراعاة الترتيب فى بقية أجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب فى أن الترتيب التعليمى والترتيب النزولى ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى أم القرآن لكونها أصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على مافيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى أم الكتاب أيضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه أصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ماذكر فى أم القرآن لاما أورده الامام البخارى فى صحيحه من أنه يبدأ بقراءتها فى الصلاة فانه مما لاتعلق له بالتسمية كما أشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام أنها أنزلت من كنز تحت العرش أو لما ذكر فى أم القرآن كما أنه الوجه فى تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هى شفاء من كل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات تثنى فى الصلاة أو لتكرر نزولها على ماروى أنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة و بالمدينة أخرى حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اختلف الامة فى شأن التسمية فى أوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن أصلا وهو قول ابن مسعود رضى

الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل أنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر أيضاً رضي الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها أنزلت مع كل سورة وهو أيضاً مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبدالله ابن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من أن هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه أحد وقيل أنها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور أيضاً من غير تعرض لكونها جزأ منها أولا ولا لكونها آية تامة أولا وهو أحد قولي الشافعي على ماذكره القرطبي ونقل عن الخطابي أنه قول ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقيل انها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزأ منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى أحد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى أحد وهو أنها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولو لا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك أحد محملي تردد الشافعي فانه قد نقل عنه أنها بعض آية في الفاتحة وأما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين أن يكون قرآنا أولا وقيل بين أن يكون آية تامة أولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن أحمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل أنه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاث الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على أن مابين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية أحدهما فان كونها جزأ من القرآن لا يستدعي كونها جزأ من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه وأما ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وماروى عن أبي هريرة من أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أو لاهن بسم الله الرحمن الرحيم وماروى عن أم سلمة من أنه عليه السلام قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وان دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث أما الأول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ماهو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا أن يلتجأ الى أن يقال أن كونها آية متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزأ منها قول لم يقل به أحد وأما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور وأما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبيء عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة أو الملابسة تبركا أي باسم الله أقرأ أو أتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير أبدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود أعني شمول البركة للكل وادعاء أن فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير أقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذلم يقل في الحديث الكريم كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضمر فيه أبدأ وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على ألسنة العباد تلقيناً لهم وارشاداً الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بماذكر من تعليم المسألة وانما كسرت ومن حق

الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر و لام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما و بين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد أدخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن و يشهد له تصريفهم على أسماء وسمى وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال

والله أسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها و رد عليه بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ماحذف صدره فى كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذى فى كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن أو لتحقيق ماهو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه أى افاضة القدرة المفسرة عند الأصوليين من أصحابنا بما يتمكن به العبد من أداء مالزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهى المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة فى كون الفعل معتدا به شرعا فانه مالم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هى الاستعانة الأولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية أو التبرك وانما لم يكتب الألف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها . والله أصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الألف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف و لذلك قيل يالله بالقطع فان المحذوف القياسى فى حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله فى الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل أى مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لامع اعتبار أحدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق وأما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره أصلا واشتقاقه من الالاهة والألوهة والألوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهرى على أنه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على أنه صفة منها بدليل أنه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شئ اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شئ كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له فى الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية أصلا ومن معنى معين قائم بها على أن ملاك الأمر تلك الخصوصية فأى ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما فى الأفعال ولذلك تعمل عملها كاسمى الفاعل والمفعول والموضوع له فى الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما فى الصفة و لذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار فى شأنه العقول والافهام وأما أله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من ألهه الى فلان أى سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الأرواح الى معرفته وقيل من ألهه اذا فزع من أمر نزل به وآلهه غيره اذا أجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة أو فى زعمه وقيل أصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم

للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد فى قولنا لااله الاالله و لايخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لايمكن اطلاقه على غيره أصلا كاف فى ذلك و لا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس فى الأصل وقيل هو وصف فى الأصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره أصلا صار كالعلم و يرده امتناع الوصف به واعلم أن المراد بالمنكر فى كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا افراد من أفراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الثانية وادخال الألف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ماقبله سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة و لاينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر فى قوله

ألا لا بارك الله فى سهيل اذا ما الله بارك فى الرجال

والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هى صيغة مبالغة نص عليه سيبويه فى قولهم هو رحيم فلانا والرحمة فى اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على مافيها والمراد ههنا التفضل والاحسان وارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد أو القريب فان أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادئ التى هى انفعالات والأول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقاله بالأغلب فى بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى أصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة أيضاً فى أصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ماليس فى الرحيم و لذلك قيل يارحمن الدنيا والآخرة و رحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية لاسلوب الترقى الى الأعلى كما فى قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لأنه باختصاصه به عز وجل صار حقيقاً بأن يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى و لأن مايدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة (الحمد لله) الحمد هو الثناء بالجميل على الجميل اختياريا كان أو مبدأ له على وجه يشعر ذلك بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ماترى بينهما من الاختلاف فى كيفية التعلق بالمفعول فى قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثانى بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها وأما الأول فتعلقه بمفعوله مبنى عن معنى الانتهاء كما فى قولك كلمته فانه معرب عما يقيده لام التبليغ فى قولك قلت له ونظيره وشكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبنى عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل فى الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله و لا يتصور فى كيفية تعلق الفعل به أى فعل كان اختلاف أصلا وأما المفعول به الذى هو محله ووقوعه فلما كان تعلقه به و وقوعه عليه على أنحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الأفعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضى أن يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال و بعضها يستدعى أن يلابسه أدنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا أو بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر فى كل نحو من أنحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر فى النحوين الأخيرين فنظم القسم الأول من التعلق فى سلك التعلق بالمفعول الحقيقى مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الأخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك أعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى و بالآخر على الثانية أو الثالثة كما فى قولك حدثنى الحديث وسألنى المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية و بالحديث على الأولى

وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة و بالمثال على الأولى و لا ريب فى أن اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد و لا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل اواختلاف المفعول واذ لا اختلاف فى مفعول الحمد والمدح تعين أن اختلافهما فى كيفية التعلق لاختلافهما فى المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه و رشاقة قده وأيا ما كان فليس بينهما ترادف بل أخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام فى المعنى كالنصر والتأييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف فى كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ماذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة فى مقام التعظيم وأما ماذكر فى كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا و فى قولهم لهذا الأمر عاقبة حميدة و فى قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل عن استحقاق الارادة ههنا استقلالا أو استتباعا بحمل الحمد على مايعم المعنيين اذ ليس فى اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها وأما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

فاذن هو أعم منهما من جهة وأخص من أخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر أدخل فى اشاعة النعمة والاعتداد بشأنها وأدل على مكانها لما فى عمل القلب من الخفاء وفى أعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاكا لامر فى قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التى لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل فى الكل وأما ماقيل من أنه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لاحاجة اليه مما لا صحة له فى نفسه فان السؤال المقدر لابد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام و ينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب فى أن الحامد بعد ماساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لايخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته على ان ماقدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بأن المعنى نخصك بالعبادة و به يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر و بعد اللتيا والتى ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التى أجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى و بهذا يتضح فساد ماقيل انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ماشأنكم معه وكيف توجهكم اليه فأجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسى جانب السائل بالكلية و بناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله والحق الذى لامحيد عنه أنه استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلى عليه من غير أن يتوسط هناك شىء آخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذى هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لالاثبات مثبت وأن ذلك أمر دائم مستمر لاحادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر فى كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام أحسن من تحيتهم له فى قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هى حاضرة فى ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعى لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهانى لكن لابناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد

الواقعة بمقابلة ماصدر عنهم من الافعال الجميلة راجعةاليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها فى المقام الخطابى منزلة العدم كيفاً وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها فى ضمن جميع افرادهاحسبما يقتضيه المقام وقرىء الحمدلله بكسر الدال اتباعا لها باللام و بضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل ـ رب العالمين ـ بالجر على أنه صفةلله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرىء منصوبا على المدح أو بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمدالله رب العالمين و لامساغ لنصبه بالحمد لقلة أعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء الى كماله شيأ فشيأ وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه و لا يطلق على غيره تعالى الامقيدكرب الدار و رب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقى ربه خمراً وقوله تعالى ارجع الى ربك ومافى الصحيحين من أنه عليه السلام قال لا يقل أحدكم أطعم ربك وضىء ربك و لا يقل أحدكم ربى وليقل سيدى ومولاى فقد قيل أن النهى فيه للتنزيه وأما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله سبحانه جاز فى اطلاقه الاطلاق والتقييد كما فى قوله تعالى أأرباب متفرقون خير الآية . والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات أى فى القدر المشترك بين أجناسها و بين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها فى قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غيرذلك يطلق على المجموع أيضاً كما فى قولنا العالم بجميع أجزائه محدث وقيل هو اسم لأولى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل أريدبه الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك أمر بالنظر فى الانفس كالنظر فى الآفاق فقيل و فى أنفسكم أفلا تبصرون والاولهو الأحق الأظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذلو أفرد لربما توهم أن المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هى أو استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذى أشير اليه فى تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل أنه جمع لا واحدله من لفظه فكما أن الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما فى مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين أى كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد الجنس المسمى به وان لم ينطلق عليها كانها آحاد مفرده التقديرى ومن قضيةهذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما أن الاقاويل يتناول كل واحد من آحاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التى لاتكاد تحصى روى عن وهب بن منبه أنه قال لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما فى حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم أن عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح وأما باعتبار الاصل فلا ريب فى صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ماسواه و بكل جنس من أجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك المجموع و بكل فرد من أفراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته فى الكل فان كل ماظهر فى المظاهر مما عز وهان وحضر فى هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وأما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لاحاجة الى بيانه اذ لاشىء مما أحدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات

والجسمانيات الا وهو فى حدذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا فى مدامورة العدم ومهاوى البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شأنه وتقدس فى كل زمان يمضى وكل آن يمر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكالاته مالا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العلم الخبير ضرورة أنه كما لا يستحق شئ من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الاصلى لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارئ لما أن الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر أن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التى هى علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهى مادخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التى لها دخل فى وجوده وهى المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة فى أن يكون لشئ واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده أو بقاؤه على ارتفاعها أى بقائها على العدم مع امكان وجودها فى نفسها فابقاء تلك الموانع التى لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشئ من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات فى كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما أعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بأنظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شأنه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن فى معرفته حائرون وفى اقامة مراسم شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لانحصى ثناء عليك لااله الا أنت نستغفرك ونتوب اليك ﴿الرحمن الرحيم﴾ صفتان لله فان أريد بما فيهما من الرحمة مايختص بالعقلاء من العالمين أو مايفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان أريد مايعم الكل فى الاطوار كلها حسبما فى قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فوجه الترتيب أن التربية لاتقتضى المقارنة للرحمة فايرادهما فى عقبها للايذان بأنه تعالى متفضل فيها فاعل بمقتضى رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبأنها واقعة على أحسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما فى التسمية لما أنه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده ﴿مالك يوم الدين﴾ صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لاحاجة الى بيان وجهه وقرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى فى أمور العامة بالامر والنهى وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما فى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضى ومالك بالنصب على المدح أو الحال وبالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم فى العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفى الشرع عما بين طلوع الفجر الثانى وغروب الشمس والمراد هنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان أو شرا ومنه الثانى فى المثل السائر كما تدين تدان والاول فى بيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

وأما الاول فى الاول والثانى فى الثانى فليس بجزاء حقيقة وانما سمى به مشاكلة أو تسمية للشئ باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما فى قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلاة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر فى بناء المفاعلة من الافعال التى تقوم أسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التى هى سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهى العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ماوقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر مايقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه

أدخل فى الترغيب والترهيب فان ماذكر من القيامة وغيرها من مبادىء الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبنى على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم ياسارق الليلة أهل الدار أى مالك أمور العالمين كلها فى يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا أريد به الحال أو الاستقبال وأما عند ارادة الاستمرار الثبوتى كما هو اللائق بالمقام فلاريب فى كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها فى قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا فى جميع الازمنة الأأنه لتحقق وقوعه و بقائه أبدا أجرى مجرى المتحقق المستمر و يجوز أن يراد به الماضى بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضى وماذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لامن حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية ألايرى انك تقول فى مالك عبده أمس أنه مضاف الى المفعول به على معنى أنه كذلك معنى لاأنه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله أو لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه أما الأولى والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وماسواه مربوبا مملوكاله تعالى وأما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الابالنسبة الى ماسواه من العالمين وذلك يستدعى أن يكون الكل منعما عليهم فظهر أن كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الأطلاق وهو المعنى بالاختصاص ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة فى افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام لما أن التنقل من أسلوب الى أسلوب أدخل فى استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما فى قوله عزوجل الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة فى التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر بهذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التى أوجبت له تعالى أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالى بعد ماتأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع أفراد العالمين وافتقار الكل اليه فى الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذى مر تاليه الاشارة أن يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان و ينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود و يلاحظ نفسه فى حظائر القدس حاضرا فى محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات و يقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يامن هذه شؤن ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ماسواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق أن يعبد أو يستعان ولعل هذا هو السر فى اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة فى كل ركعة من الصلاة التى هى مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل اليه بالكلية وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لامحل لها من الاعراب كالتاء فى أنت والكاف فى أرأيتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لايعول

عليه وقيل هي الضمائر وايا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة أقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد أي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل مايرضى به الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى وايای فارهبون مع مافيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه أيضاً وأما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤل أدعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل أنه لما أن المسؤل هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ماينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين أنه عند استغراقه في ملاحظة شؤنه تعالى واشتغاله بأداء مايوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لايكاد يخطر بباله من أفعاله وأحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أو لا و باستدعاء الهداية الى مايوصل اليه آخراً فكيف يتصور أن يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من أمور دنياه أو بما يعمها وغيرها كأنه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على أداء حقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد أشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من أعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء مالايخفى وقيل الواو للحال أي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك أو للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحال العارضة له بناء على تعاضد الادلة الماجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ افراد لمعظم افراد المعونة المسؤلة بالذكر وتعيين لما هو الاهم أو بيان لها كأنه قيل كيف أعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على مايوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديته بالى واللام كما في قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى أنواع لاتكاد تحصر منحصرة في أجناس مترتبة منها أنفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء أفاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من أفراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما أشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وماخلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي

كشف الاسرار على قلب المهدى بالوحى أو الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما فى قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روى عن على وأبى رضى الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الأخير مجاز قطعاً وأما على الأول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا فى المعنى المستعمل فيه كان مجازا أيضاً وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لأن الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ أرشدنا والصراط الجادة أصله السين قلبت صاداً لمكان الطاء كمصيطر فى مسيطر من سرط الشئ اذا ابتلعه سميت به لأنها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تاتقمهم وقد تسم الصاد صوت الزاء تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهى لغة قريش وهى الثابتة فى الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل فى التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وهى الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بدل من الأول بدل الكل وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم فى الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فازبها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الأنبياء عليهم السلام ولعل الاظهر أنهم المذكورون فى قوله عز قائلا فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ماقبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من أنعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى فى الأصل الحالة التى يستلذها الانسان من النعمة وهى اللين ثم أطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا . ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر أصولها فى دنيوى وأخروى . والأول قسمان وهبى وكسبى والوهبى أيضا قسمان روحانى كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل ومايتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة فى أنفسها وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبى تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال . والثانى مغفرة مافرط منه والرضى عنه وتبوئته فى أعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما أضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدى الوصفين المذكورين أعنى مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما فى قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلى به أولئك نعمة جليلة فى نفسها أى الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التى هى نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذى اللام اذا أريد به الجنس فى ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهنى و بالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد فى مسند أحمد والترمذى فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفة وأنت خبير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ماأضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما فى الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذى تحققته فيما سلف ومن البين أن ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم و بهذا تبين أن لا سبيل الى

جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولاريب فى أن قصارى أمر مانحن فيه أن يكتسب مما أضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول وأما استحقاق أن يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل أنعمت أو على المدح أو على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان أريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان أريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه وأراد أن ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية فى نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون أضدادها كما فى قوله تعالى الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما أفاده غير من معنى النفى كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب جواز أنا زيدا لاضارب وان امتنع أنا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوى وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب عن التقاء الساكنين ﴿ آمين ﴾ اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بنى على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مدألفه وقصرها قال

ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله مابيننا بعدا

عن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن أبى حنيفة رحمه الله أن المصلى يأتى بها مخافتة وعنه أنه لايأتى بها الامام لانه الداعى وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وأنس بن مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام وعند الشافعى رحمه الله يجهر بها لما روى وائل بن حجر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابى بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يارسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته . وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

﴿ سورة البقرة مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم ﴾ الألفاظ التى يعبر بها عن حروف المعجم التى من جملتها المقطعات المرقومة فى فواتح السور الكريمة أسماؤها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به مايعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك أساطين أئمة العربية وماوقع فى عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة وأما ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه من أنه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لاأقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفى رواية الترمذى والدارمى لاأقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن

الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق لها بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة وانما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضا تجوزا فأريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة فى المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله أو القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله فى شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هى المسميات البسيطة الواقعة فى كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما فى قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا أسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أن الحسنات فى قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك فى قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه أثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة أسمائها الملفوظة والألفات الموافقة فى العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بأنه ستتبع لحسنة واحدة فالعبرة فى ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه أن استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما أن سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بأنفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعانى المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الأول من غير فرق بينهما ألا يرى الى ما فى الرواية الأخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفى ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بأنفسهما ولقد روعيت فى هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الألفاظ صدراً لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذى أثير خلا ان الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهى معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الأصل لكنها مالم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الأعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف بحموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجى لابتغاء الخفة لا لأن وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد أخرى فيكون اسمالها كما فى قول حسان رضى الله عنه

ماقال لا قط الا فى تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء

هذا وقد تكلموا فى شأن هذه الفواتح الكريمة وما أريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روى عن الصديق رضى الله عنه أنه قال فى كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن على رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبى عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها أسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الأفعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظى وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أى أنزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هى اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها أصول اللغات ومبادئ كتبه المنزلة ومبانى أسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذى عليه التعويل اما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الأكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فيكون فيه ايماء الى الاعجاز والتحدى على سبيل الايقاظ فلولا انه وحى من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ماقاله الكلبى والسدى وقتادة من أنها أسماء للقرآن

والتسمية بثلاثة أسماء فصاعداً انما تستنكر فى لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسماً واحدا كما فى حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم فى المسمى و لا محذور فيه كما لا محذور فى عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت فى المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لانه أدل على كيفية التلفظ بها وهى أن يكون على نهج التهجى دون التركيب و لأن فيه سلامة من التطويل لاسيما فى الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح أهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا بمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم و لا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وأمراء الكلام فى نادى الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم فى المضادة والمضاره وتهالكهم على المعازة والمعاره أوليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة أنموذجا لما فى الباقى من فنون الاعجاز فان النطق بأنفس الحروف فى تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التفلظ بأسمائها انما يتأتى ممن درس وخط وأما من لم يحم حول ذلك قط فأعز من بيض الانوق وأبعد من مناط العيوق لاسيما اذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب منبئ عن سر سرى مبنى على نهج عبقرى بحيث يحار فى فهمه أرباب العقول و يعجز عن ادراكه ألباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوى على انصاف أصنافها تحقيقا أو تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض أفاضل أئمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من أن يطالعها الانظار وجلت قدرته عن أن يناله أيدى الأفكار وايراد بعضها فرادى و بعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما فى التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبنى على التوقيف البحت أما الم فآية حيثما وقعت وقيل فى آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية فى شئ من سورها الخمس وطسم آية فى سورتيها وطه و يس آيتان و طس ليست بآية وحم آية فى سورها كلها و كهيعص آية وحم عسق آيتان وص و ق و ن لم تعد واحدة منها آية هذا على رأى الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم فى السور كلها بلا فرق بينها وأما من عداهم فلم يعدوا شيأ منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب و يوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها أسماء للسور أو للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء أو على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر أو بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام و يستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا أن ما كانت منها مفردة مثل ص و ق و ن يتأتى فيها الاعراب اللفظى أيضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل أى اذكر أو اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم و يس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال فى باب أسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسما أعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافى أيضا عن بعضهم قراءة ياسين و يجوز أن يكون ذلك فى الكل تحريكا لالتقاء الساكنين و لا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان مابعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على

مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر فى جعل ماعدا الواو الاولى فى قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة و لا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثانى فى الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ ص و ق بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز فى طاسين ميم أن تفتح نونها وتجعل من قبيل دارا بجرد ذكره سيبويه فى كتابه وأما ماعدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجئ تفاصيل سائر أحكام كل منها مشروحة فى مواقعها باذن الله عز سلطانه أما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة أو للقرآن فمحلها الرفع اما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم أى مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا أو كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا مااشترى فلان واما على أنه مبتدأ أى المسمى به والاول هو الاظهر لان مايجعل عنوان الموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لاعلم بالتسمية قبل لحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد فى أن المسمى هى السورة أو كل القرآن ﴿ذلك﴾ ذا اسم اشارة واللام عماد جئ به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من أنه باعتبار التقصى أو باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه فى حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ماوضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هى السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية فى الاولى بناء على أن التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير مابعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثانى مبتدأ ثان وقوله عز وعلا ﴿الكتاب﴾ اما خبر له أو صفة أما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما أفاده الجملة الاولى من نباهة شأن المسمى لامحل لها من الاعراب وعلى الوجه الثانى فى محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب امامصدر سمى به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور وامافعال بنى للمفعول كاللباس من الكتب الذى هو ضم الحروف بعضها الى بعض وأصله الجمع والضم فى الامور البادية للحس البصرى ومنه الكتيبة للعسكر كما ان أصل القراءة الجمع والضم فى الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارقلما أن مآله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هى السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم نزوله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه فى علم الله عز وجل أو باعتبار ثبوته فى اللوح أو باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر فى فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب أى العمدة القصوى منه كانه فى احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغنى عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كالات الجنس كان ماعداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مراضى الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم ياأم خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس فى فرد من أفراده وفى الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل فى الجزء ولامساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر أفراده من الكتب السماوية لا لبعضه الذى ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزأ لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله و لان

حصر الكمال فى السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك وأما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدا محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الأول أو مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له أو مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدا الأول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هى السورة أو القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شأنه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ أقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا أنه ان كان المسمى هى السورة ينبغى أن يراد بالوعد ما فى قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما فى التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة أو للقرآن وأما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره أو صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف أو يقدر مبتدأ أى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ اما فى محل الرفع على أنه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة أو على أنه خبر ثان لالم أو لذلك على تقدير كون الكتاب خبره أو للمبتدا المقدر آخرا على رأى من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى واما فى محل النصب على الحالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبنى على الفتح لكونه مفردا نكرة لامضافا ولاشبيها به وأما ماذكره الزجاج من أنه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف أى لا ريب موجود أو نحوه كما فى قوله تعالى لاعاصم اليوم من أمر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفى الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض فى الكتاب أو الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول أن ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب فى الاصل مصدر رابنى اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل فى معنى الشك مطلقا أو مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى الحديث دع ما يريبك الى مالا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب أنه فى علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة أن يرتاب فى حقيته وكونه وحياً منزلا من عند الله تعالى لا أنه لا يرتاب فيه أحد أصلا ألا يرى كيف جوز ذلك فى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا الخ فانه فى قوة أن يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا أو ان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا أنه خولف فى الاسلوب حيث فرض كونهم فى الريب لاكون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بأن ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب فى سائر الكتب ليقتضى المقام تقديم الظرف كما فى قوله تعالى لافيها غول ﴿هدى﴾ مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية أى مامن شأنه ذلك وقيل هى الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته فى قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ولاشك فى أن عدم الوصول معتبر فى مفهوم الضلال فيعتبر الوصول فى مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره فى مفهوم الهدى المتعدى اذ لافرق بينهما الا من حيث التأثير والتأثر ومحصله أن الهدى المتعدى هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل أن مقابله الذى هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبنى على أمرين اعتبار الوصول وجوبا فى مفهوم اللازم واعتبار وجود

اللازم وجوبا فى مفهوم المتعدى وكلا الامرين بمعزل من الثبوت أما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران فى مفهوميهما على وجه مخصوص به ليتحقق التقابل بينهما وتوضيحه أن الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شأنه الايصال الى البغية كما أن الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ماليس من شأنه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع فى أن امكان الوصول الى البغية هل هو كاف فى تحصل مفهوم الهدى أو لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر فى مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان أريد باعتبار الوصول بالفعل فى مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له فى الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه فى مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهى به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجى والوصول اليه دفعى فيستحيل اجتماعهما فى الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان أمرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له فى جميع أزمنة وجوده اذ لو فارقه فى آن من آنات تلك الازمنة لقارنه فى ذلك الآن مقابله الذى هو الوصول فما فرضناه ضلالا لايكون ضلالا وان أريد اعتباره من حيث أنه غاية له واجبة الترتب عليه لزم أن يكون التوجه المقارن لغاية الجد فى السلوك الى ما من شأنه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجى كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا اخلال من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع أنه لاجور فيه عن القصد أصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول فى مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره فى مفهوم المتعدى حتما وأما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثانى فبيانه مبنى على تمهيد أصل وهو أن فعل الفاعل حقيقة هو الذى يصدر عنه و يتم من قبله لكن لما لم يكن له فى تحققه فى نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك فى مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة فى أنفسها مستقلة بأحكام مقتضية لافرادها بأسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل أثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له فى التحقق غير منفكة عنه أصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة فى مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذى هو أثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر و باعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذى هو أثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا أمر مطرد فى آثاره الطبيعية وأما الآثار التى له مدخل فى وجودها فى الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه أخرى بحسب وجود أسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها فحيث كانت تلك الآثار مستقلة فى أنفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة فى مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المأمور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمأمور والمدعو مستقلين فى أنفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة فى مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة أو لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان فى أنفسهما صادران عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للامر